الشيخ سيد عبد العاطي

إدفع بالتي هيَ أحسن

اصدار موسوعة اعرف دينك للعلوم الشرعية



اَلْحَمْدُ لِلَّهِ الْمُتَفَضِّلِ بِالْعَفْوِ عَمَّنْ أَنَابَ، غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ، أَحْمَدُهُ عَلَى السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ، وَأَشْكُرُهُ طَلَبًا لِلْمَزِيدِ مِنَ النَّعْمَاءِ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ وَأَسْتَغْفِرُهُ، وَأَسْأَلُهُ اللُّطْفَ فِي الْقَضَاءِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَفَّقَ أَهْلَ الْإِيمَانِ لِلتَّحَلِّي بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، وَطَهَّرَ قُلُوبَهُمْ مِنْ شَوَائِبِ السُّوءِ وَالشِّقَاقِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، كَانَ بَيْنَ قَوْمِهِ مِثَالًا لِلْآدَابِ الْبَهِيَّةِ، وَعُنْوَانًا لِلْأَخْلَاقِ الزَّكِيَّةِ، بَثَّ فِي أُمَّتِهِ رُوحَ الْفَضِيلَةِ، وَحَذَّرَهُمْ مِنْ شَرِّ الرَّذِيلَةِ، وَهَدَاهُمْ إِلَى خَيْرِ الطَّرِيقَيْنِ، وَأَرْشَدَهُمْ إِلَى نَيْلِ السَّعَادَتَيْنِ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ اقْتَفَوْا أَثَرَهُ؛ فَحَيُوا حَيَاةً طَيِّبَةً، وَاتَّبَعُوا سَبِيلَهُ فَعَاشُوا عِيشَةً رَاضِيَةً، أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا، لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ.



أَمَّا بَعْدُ:

•فَمِنَ الْمَعْلُومِ أنَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا دَارُ اخْتِبَارٍ وَامْتِحَانٍ وَابْتِلَاءٍ،قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ(١) ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ }.(الملك: ١-٢).

-فَقَوْلُهُ:{ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ }. أيْ: قَدَّرَ لِعِبَادِهِ أنْ يُحْيِيَهُمْ ثُمْ يُمِيتهُمْ؛ { لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا } أيْ: أخْلَصُهُ وَأصْوَبُهُ، فَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَ عِبَادَهُ، وَأخْرَجَهُمْ لِهَذِهِ الدَّارِ، وَأخْبَرَهُمْ أَنَّهُمْ سَيُنْقَلُونَ مِنْهَا، وَأمَرَهُمْ وَنَهَاهُمْ، وَابْتَلَاهُمْ بِالشَّهَوَاتِ الْمُعَارِضَةِ لأمْرِهِ، فَمَنِ انْقَادَ لأمْرِ اللَّهِ وَأحْسَنَ الْعَمَلَ، أحْسَنَ اللَّهُ لَهُ الْجَزَاءَ فِي الدَّارَيْنِ، وَمَنْ مَالَ مَعَ شَهَوَاتِ النَّفْسِ، وَنَبَذَ أمْرَ اللَّهِ، فَلَهُ شَرُّ الْجَزَاءِ.

-وَهُوَ الْعَزِيزُ } الَّذِي لَهُ الْعِزَّةُ كُلُّهَا، الَّتِي قَهَرَ بِهَا جَمِيعَ الْأَشْيَاءِ، وَانْقَادَتْ لَهُ الْمَخْلُوقَاتِ.

-{الْغَفُورُ } عَنِ الْمُسِيئِينَ وَالْمُقَصِّرِينَ وَالْمُذْنِبِينَ، خُصُوصًا إِذَا تَابُوا وَأَنَابُوا، فَإِنَّهُ يَغْفِرُ ذُنُوبَهُمْ، وَلَوْ بَلَغَتْ عَنَانَ السَّمَاءِ، وَيسْتُرُ عُيُوبَهُمْ، وَلَوْ كَانَتْ مِلْءَ الدُّنْيَا.

-وَأَكَّدَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ السُّنَّةَ فِي مَوَاضِعِ كَثِيرَةٍ مِنْ كِتَابِهِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى:{ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُمۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ }.(البقرة:٢١٤).،وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى:{ الم (١) أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ }.(العنكبوت:١-٣).

•وَالْإِنْسَانُ فِي هَذِهِ الدَّارِ بَيْنَ عَدُوَّيْنِ ،بَيْنَ عَدَوَاةِ شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَعَدَاوَةِ شَيْطَانِ الْجِنّ،فَإِنَّ مِنَ الْإِنْسِ شَيَاطِين كَمَا أَنَّ مِنَ الْجِنِّ شَيَاطِين ، وَالشَّيْطَانُ : الْعَاتِي الْمُتَمَرِّدُ مِنْ كُلِّ شَيءٍ ، قَالُوا : إِنَّ الشَّيْطَانَ إِذَا أَعْيَاهُ الْمُؤمِن وَعَجَزَ مِنْ إِغْوَائِهِ ذَهَبَ إِلَى مُتَمَرِّدٍ مِنَ الْإِنْسِ وَهُوَ شَيْطَانُ الْإِنْسِ فَأَغْرَاهُ بِالْمُؤمِنِ لِيَفْتِنَهُ.

-قَالَ مَالِكُ بْن دِينَارٍ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-:{ إِنَّ شَيَاطِينَ الْإِنْسِ أَشَدُّ عَلَيَّ مِنْ شَيَاطِينِ الْجِنّ ، وَذَلِكَ أَنِّي إِذَا تَعَوَّذْتُ بِاللهِ ذَهَبَ عَنِّي شَيْطَانُ الْجِنّ ، وَشَيْطَانُ الْإِنْسِ يَجِيئُنِي فَيَجُرُّنِي إِلَى الْمَعَاصِي عِيَانًا.

-لِذَا قَالَ اللهُ تَعَالَى:{ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًاۚ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ }.(الأنعام:١١٢).

-وَقَالَ اللهُ تَعَالَى:{ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ (١) مَلِكِ ٱلنَّاسِ (٢) إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ (٣) مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ (٤) ٱلَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ (٥) مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ }.(النّاس:١-٦).



•وَقَدْ بَيَّنَ اللهُ تَعَالَى الْمَنْهَجَ الرَّبَّانِيَّ فِي التَّعَامُلِ مَعَ شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَمَعَ شَيْطَانِ الْجِنّ فَقَالَ تَعَالَى:{ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُۚ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ

عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤)وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٣٥) وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ }.(فصّلت: ٣٤-٣٦).

-يَقُولُ تَعَالَى: { وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ { أَيْ: لَا يَسْتَوِي فِعْلُ الْحَسَنَاتِ وَالطَّاعَاتِ لِأَجْلِ رِضَا اللهِ تَعَالَى، وَلَا فِعْلُ السَّيِّئَاتِ وَالْمَعَاصِي الَّتِي تُسْخِطُهُ وَلَا تُرْضِيهِ، وَلَا يَسْتَوِي الْإِحْسَانُ إِلَى الْخَلْقِ، وَلَا الْإِسَاءَةُ إِلَيْهِمْ، لَا فِي ذَاتِهَا، وَلَا فِي وَصْفِهَا، وَلَا فِي جَزَائِهَا { هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ } ثُمَّ أَمَرَ بِإِحْسَانٍ خاصٍ، لَهُ مَوْقِعٌ كَبِيرٌ، وَهُوَ الْإِحْسَانُ إِلَى مَنْ أَسَاءَ إِلَيْكَ، فَقَالَ: { اِدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ }

أَيْ: فَإِذَا أَسَاءَ إِلَيْكَ مُسِيءٌ مِنَ الْخَلْقِ، خُصُوصًا مَنْ لَهُ حَقٌّ كَبِيرٌ عَلَيْكَ، كَالْأَقَارِبِ، وَالْأَصْحَابِ، وَنَحْوِهِمْ، إِسَاءَةً بِالْقَوْلِ أَوْ بِالْفِعْلِ، فَقَابِلْهُ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ، فَإِنْ قَطَعَكَ فَصِلْهُ، وَإِنْ ظَلَمَكَ فَاعْفُ عَنْهُ، وَإِنْ تَكَلَّمَ فِيكَ غَائِبًا أَوْ حَاضِرًا، فَلَا تُقَابِلْهُ، بَلِ اعْفُ عَنْهُ، وَعَامِلْهُ بِالْقَوْلِ اللَّيِّنِ.

-وَإِنْ هَجَرَكَ وَتَرَكَ خِطَابَكَ، فَطَيِّبْ لَهُ الْكَلَامَ، وَابْذُلْ لَهُ السَّلَامَ، فَإِذَا قَابَلْتَ الْإِسَاءَةَ بِالْإِحْسَانِ، حَصَلَتْ فَائِدَةٌ عَظِيمَةٌ.

-{ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ { أَيْ: كَأَنَّهُ قَرِيبٌ شَفِيقٌ.

-{ وَمَا يُلَقَّاهَا } أَيْ:وَمَا يُوَفَّقُ لِهَذِهِ الْخَصْلَةِ الْحَمِيدَةِ { إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا } نُفُوسَهُمْ عَلَى مَا تَكْرَهُ، وَأَجْبَرُوهَا عَلَى مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ، فَإِنَّ النُّفُوسَ مَجْبُولَةٌ عَلَى مُقَابَلَةِ الْمُسِيءِ بِإِسَاءَتِهِ، وَعَدَمِ الْعَفْوِ عَنْهُ، فَكَيْفَ بِالْإِحْسَانِ؟ فَإِذَا صَبَرَ الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ، وَامْتَثَلَ أَمْرَ رَبِّهِ، وَعَرَفَ جَزِيلَ الثَّوَابِ، وَعَلِمَ أَنَّ مُقَابَلَتَهُ لِلْمُسِيءِ بِجِنْسِ عَمَلِهِ، لَا يُفِيدُهُ شَيْئًا، وَلَا يَزِيدُ الْعَدَاوَةَ إِلَّا شِدَّةً، وَأَنَّ إِحْسَانَهُ إِلَيْهِ، لَيْسَ بِوَاضِعٍ قَدْرَهُ، بَلْ مَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ رَفَعَهُ، هَانَ عَلَيْهِ الْأَمْرُ، وَفَعَلَ ذَلِكَ، مُتَلَذِّذًا مُسْتَحْلِيًا لَهُ.

-{ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ } لِكَوْنِهَا مِنْ خِصَالِ خَوَاصِّ الْخَلْقِ، الَّتِي يُنَالُ بِهَا الْعَبْدُ الرِّفْعَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، الَّتِي هِيَ مِنْ أَكْبَرِ خِصَالِ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ.

-وَلَمَّا ذَكَرَ تَعَالَى مَا يُقَابَلُ بِهِ الْعَدُوُّ مِنَ الْإِنْسِ، وَهُوَ مُقَابَلَةُ إِسَاءَتِهِ بِالْإِحْسَانِ، ذَكَرَ مَا يُدْفَعُ بِهِ الْعَدُوُّ الْجِنِّيُّ، وَهُوَ الِاسْتِعَاذَةُ بِاللَّهِ، وَالِاحْتِمَاءُ مِنْ شَرِّهِ، فَقَالَ: {

وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ } أَيْ: أَيُّ وَقْتٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ، أَحْسَسْتَ بِشَيْءٍ مِنْ نَزَغَاتِ الشَّيْطَانِ أَيْ: مِنْ وَسَاوِسِهِ وَتَزْيِينِهِ لِلشَّرِّ، وَتَكْسِيلِهِ عَنِ الْخَيْرِ، وَإِصَابَتِهِ بِبَعْضِ الذُّنُوبِ، وَإِطَاعَتِهِ لِبَعْضِ مَا يَأْمُرُ بِهِ – { فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ }

أَيْ: اسْأَلْهُ، مُفْتَقِرًا إِلَيْهِ، أَنْ يُعِيذَكَ وَيَعْصِمَكَ مِنْهُ، { إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } فَإِنَّهُ يَسْمَعُ قَوْلَكَ وَتَضَرُّعَكَ، وَيَعْلَمُ حَالَكَ وَاضْطِرَارَكَ إِلَى عِصْمَتِهِ وَحِمَايَتِهِ.

•فَمِنْ خِلَالِ هٰذِهِ الْآيَاتِ بَيَّنَ اللَّهُ تَعَالَى الْمَنْهَجَ الرَّبَّانِيَّ فِي التَّعَامُلِ مَعَ الْعَدُوِّ الْإِنْسِيِّ، وَهُوَ الدَّفْعُ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ، وَبَيَّنَ الْمَنْهَجَ الرَّبَّانِيَّ فِي التَّعَامُلِ مَعَ شَيْطَانِ الْجِنِّ، وَهُوَ الِاسْتِعَاذَةُ بِاللَّهِ تَعَالَى، وَالِاحْتِمَاءُ بِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.



•وَمِنْ أَجْلِ ذٰلِكَ صُنِّفَتْ هٰذِهِ الرِّسَالَةُ الْمُخْتَصَرَةُ لِبَيَانِ هٰذَا الْمَنْهَجِ الرَّبَّانِيِّ فِي التَّعَامُلِ مَعَ شَيْطَانِ الْإِنْسِ، وَعُنْوِنَتْ لَهَا بِهٰذَا الْعُنْوَانِ: { اِدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ }.

–هٰذَا وَقَدْ حَانَ أَوَانُ الشُّرُوعِ فِي الْمَقْصُودِ، فَأَقُولُ وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ:

أَوَّلًا: اِدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ

–مِنَ الْقَوَاعِدِ الْقُرْآنِيَّةِ فِي مَقَامِ الْأَخْلَاقِ وَالْآدَابِ، قَاعِدَةُ مُقَابَلَةِ الْإِسَاءَةِ بِالْإِحْسَانِ لِدَفْعِ شَرِّ كُلِّ ذِي شَرٍّ مِنْ بَنِي الْإِنْسَانِ،

فَالْإِحْسَانُ لِمَنْ أَسَاءَ، يُؤَدِّي إِلَى تَحْوِيلِ الْعَدَاوَةِ إِلَى مَوَدَّةٍ، وَإِلَى تَحْقِيقِ أَعْلَى مَرَاتِبِ الْأَخْلَاقِ الْحَمِيدَةِ الَّتِي تُقَرِّبُ الْعَبْدَ مِنَ اللَّهِ.

–كَمَا أَنَّ الدَّفْعَ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ يُرْشِدُ إِلَى أَهَمِّيَّةِ التَّحَلِّي بِالصَّبْرِ وَالْعَفْوِ وَاللِّينِ بَدَلًا مِنَ الْمُقَابَلَةِ بِالْمِثْلِ، وَهِيَ أَسَاسٌ لِبِنَاءِ عِلَاقَاتٍ اِجْتِمَاعِيَّةٍ سَلِيمَةٍ وَمُجْتَمَعٍ مُتَمَاسِكٍ.

–وَالْإِحْسَانُ لِمَنْ أَسَاءَ سَبِيلٌ إِلَى مَحَبَّةِ اللَّهِ تَعَالَى وَالْفَوْزِ بِجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ } (آلِ عِمْرَانَ: ١٣٣–١٣٤).

–أَيْ: وَبَادِرُوا بِطَاعَتِكُمْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ لِاغْتِنَامِ مَغْفِرَةٍ عَظِيمَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ، وَجَنَّةٍ وَاسِعَةٍ، عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُتَّقِينَ.

–ثُمَّ وَصَفَ الْمُتَّقِينَ وَأَعْمَالَهُمْ، فَقَالَ: { الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ } أَيْ: فِي حَالِ عُسْرِهِمْ وَيُسْرِهِمْ، إِنْ أَيْسَرُوا أَكْثَرُوا مِنَ النَّفَقَةِ، وَإِنْ أَعْسَرُوا لَمْ يَحْتَقِرُوا مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا وَلَوْ قَلَّ.

–{ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ } أَيْ: إِذَا حَصَلَ لَهُمْ مِنْ غَيْرِهِمْ أَذِيَّةٌ تُوجِبُ غَيْظَهُمْ – وَهُوَ امْتِلَاءُ قُلُوبِهِمْ مِنَ الْحَنَقِ، الْمُوجِبِ لِلِانْتِقَامِ بِالْقَوْلِ وَالْفِعْلِ –، فَهَؤُلَاءِ لَا يَعْمَلُونَ بِمُقْتَضَى الطِّبَاعِ الْبَشَرِيَّةِ، بَلْ يَكْظِمُونَ مَا فِي الْقُلُوبِ مِنَ الْغَيْظِ، وَيَصْبِرُونَ عَنْ مُقَابَلَةِ الْمُسِيءِ إِلَيْهِمْ.

–{ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ } يَدْخُلُ فِي الْعَفْوِ عَنِ النَّاسِ، الْعَفْوُ عَنْ كُلِّ مَنْ أَسَاءَ إِلَيْكَ بِقَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ، وَالْعَفْوُ أَبْلَغُ مِنَ الْكَظْمِ، لِأَنَّ الْعَفْوَ تَرْكُ الْمُؤَاخَذَةِ مَعَ السَّمَاحَةِ عَنِ الْمُسِيءِ، وَهٰذَا إِنَّمَا يَكُونُ مِمَّنْ تَحَلَّى بِالْأَخْلَاقِ الْجَمِيلَةِ، وَتَخَلَّى عَنِ الْأَخْلَاقِ الرَّذِيلَةِ، وَمِمَّنْ تَاجَرَ مَعَ اللَّهِ، وَعَفَا عَنْ عِبَادِ اللَّهِ رَحْمَةً بِهِمْ، وَإِحْسَانًا إِلَيْهِمْ، وَكَرَاهَةً لِحُصُولِ الشَّرِّ عَلَيْهِمْ، وَلِيَعْفُوَ اللَّهُ عَنْهُ، وَيَكُونَ أَجْرُهُ عَلَى رَبِّهِ الْكَرِيمِ، لَا عَلَى الْعَبْدِ الْفَقِيرِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: { فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ }.

–ثُمَّ ذَكَرَ حَالَةً أَعَمَّ مِنْ غَيْرِهَا، وَأَحْسَنَ وَأَعْلَى وَأَجَلَّ، وَهِيَ الْإِحْسَانُ، فَقَالَ تَعَالَى: { وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ }.

–وَالْإِحْسَانُ نَوْعَانِ:

–إِحْسَانٌ فِي عِبَادَةِ الْخَالِقِ، وَإِحْسَانٌ إِلَى الْمَخْلُوقِ.

–فَالْإِحْسَانُ فِي عِبَادَةِ الْخَالِقِ فَسَّرَهُ النَّبِيُّ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– بِقَوْلِهِ:{ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ } .

–وَأَمَّا الْإِحْسَانُ إِلَى الْمَخْلُوقِ، فَهُوَ إِيصَالُ النَّفْعِ الدِّينِيِّ وَالدُّنْيَوِيِّ إِلَيْهِمْ، وَدَفْعُ الشَّرِّ الدِّينِيِّ وَالدُّنْيَوِيِّ عَنْهُمْ، فَيَدْخُلُ فِي ذٰلِكَ أَمْرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهْيُهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَتَعْلِيمُ جَاهِلِهِمْ، وَوَعْظُ غَافِلِهِمْ، وَالنَّصِيحَةُ لِعَامَّتِهِمْ وَخَاصَّتِهِمْ، وَالسَّعْيُ فِي جَمْعِ كَلِمَتِهِمْ، وَإِيصَالُ الصَّدَقَاتِ وَالنَّفَقَاتِ الْوَاجِبَةِ وَالْمُسْتَحَبَّةِ إِلَيْهِمْ، عَلَى اخْتِلَافِ أَحْوَالِهِمْ وَتَبَايُنِ أَوْصَافِهِمْ،

فَيَدْخُلُ فِي ذٰلِكَ بَذْلُ النَّدَى وَكَفُّ الْأَذَى، وَاحْتِمَالُ الْأَذَى، كَمَا وَصَفَ اللَّهُ بِهِ الْمُتَّقِينَ فِي هٰذِهِ الْآيَاتِ، فَمَنْ قَامَ بِهٰذِهِ الْأُمُورِ، فَقَدْ قَامَ بِحَقِّ اللَّهِ وَحَقِّ عِبَادِهِ.

-وَالْإِحْسَانُ لِمَنْ أَسَاءَ خُلُقُ النَّبِيِّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، فَقَدْ أَخْرَجَ الْإِمَامُ التِّرْمِذِيُّ – رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى – فِي سُنَنِهِ بِرَقْمِ (٢٠١٦) مِنْ حَدِيثِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْجَدَلِيِّ – رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ – قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا – عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، فَقَالَتْ:{ لَمْ يَكُنْ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا، وَلَا صَخَّابًا فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَا يَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ }.

-لَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا، وَقَدِ اتَّصَفَ بِأَخْلَاقِ الْقُرْآنِ، وَكَانَ هٰذَا تَأْدِيبًا مِنَ اللَّهِ لِنَبِيِّهِ، وَقَدْ نَقَلَ لَنَا الصَّحَابَةُ هَدْيَهُ وَسِمْتَهُ وَأَخْلَاقَهُ.

-وَفِي هٰذَا الْحَدِيثِ يَقُولُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْجَدَلِيُّ: { سَأَلْتُ عَائِشَةَ عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- }، أَيْ: عَنْ صِفَاتِ خُلُقِهِ، وَالْخُلُقُ: مِلْكَةٌ تَصْدُرُ بِهَا الْأَفْعَالُ بِسُهُولَةٍ مِنْ غَيْرِ تَنَكُّرٍ وَلَا تَكَلُّفٍ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها: { لَمْ يَكُنْ فَاحِشًا }، الْفُحْشُ: الْقُبْحُ، وَكُلُّ سُوءٍ جَاوَزَ حَدَّهُ فَهُوَ فَاحِشٌ، أَيْ: لَمْ يَكُنْ مُتَكَلِّمًا بِالْقَبِيحِ أَصْلًا وَلَمْ يَكُنْ فِي طَبْعِهِ، { وَلَا مُتَفَحِّشًا } أَيْ: بِالتَّكَلُّفِ، أَيْ: لَمْ يَكُنْ فِيهِ الْفُحْشُ، لَا ذَاتِيًّا وَلَا عَرَضًا، { وَلَا صَخَّابًا فِي الْأَسْوَاقِ } أَيْ: لَمْ يَكُنْ صِيَّاحًا يَرْفَعُ صَوْتَهُ فِي الْأَسْوَاقِ، { وَلَا يَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ } أَيْ: يُعْرِضُ عَنْ صَاحِبِ السَّيِّئَةِ، بَلْ وَيَعْفُو عَنْهُ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: { فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ }. (المائدة:١٣).

-وَفِي الْحَدِيثِ: بَيَانُ بَعْضِ صِفَاتِ الرَّسُولِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -وَأَخْلَاقِهِ الْحَمِيدَةِ.



•وَهٰذِهِ بَعْضُ تَطْبِيقَاتِ إِحْسَانِهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لِمَنْ أَسَاءَ:

(1)أَخْرَجَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ – رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى – فِي صَحِيحِهِ بِرَقْمِ (٦٤٠١) مِنْ حَدِيثِ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رضي الله عنها: أَنَّ الْيَهُودَ أَتَوْا النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكَ، قَالَ: { وَعَلَيْكُم }، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: السَّامُ عَلَيْكُم، وَلَعَنَكُمُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْكُم، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : مَهْلًا يَا عَائِشَةُ، عَلَيْكِ بِالرِّفْقِ، وَإِيَّاكِ

وَالْعُنْفَ أَوِ الْفُحْشِ، قَالَتْ: أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟! قَالَ: أَوَلَمْ تَسْمَعِي مَا قُلْتُ؟ رَدَدْتُ عَلَيْهِمْ، فَيُسْتَجَابُ لِي فِيهِمْ، وَلَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ فِيَّ.

-الرِّفْقُ بِالنَّاسِ وَاللِّينُ مَعَهُمْ مِنْ جَوَاهِرِ عُقُودِ الْأَخْلَاقِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَهِيَ مِنْ صِفَاتِ الْكَمَالِ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى رَفِيقٌ يُحِبُّ مِنْ عِبَادِهِ الرِّفْقَ.

-وَفِي هٰذَا الْحَدِيثِ تُخْبِرُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ رضي الله عنها أَنَّ الْيَهُودَ أَتَوْا النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -فَقَالُوا: { السَّامُ عَلَيْكُمْ }، يُوَهِمُونَ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -وَمَنْ مَعَهُ أَنَّهُمْ يُلْقُونَ عَلَيْهِمْ تَحِيَّةَ الْإِسْلَامِ، وَالْحَقِيقَةُ أَنَّهُمْ يَدْعُونَ عَلَيْهِمْ، وَالسَّامُ: الْمَوْتُ وَالْهَلَكَةُ، وَلَكِنَّ النَّبِيَّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَدْ فَطِنَ لِقَوْلِهِمْ وَرَدَّ عَلَيْهِمْ وَقَالَ: { وَعَلَيْكُم }، وَمَعْنَى جَوَابِهِ: عَلَيْكُمْ مِثْلُ مَا قُلْتُمْ مِنَ الدُّعَاءِ.

-وَقَدْ فَطِنَتْ أُمُّنَا عَائِشَةُ رضي الله عنها أَيْضًا لِقَوْلِهِمْ، فَقَالَتْ: { السَّامُ عَلَيْكُمْ، وَلَعَنَكُمُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْكُمْ }، فَرَدَّتْ عَلَيْهِمْ بِمِثْلِ لَفْظِهِمْ وَكَلَامِهِمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: { مَهْلًا يَا عَائِشَةُ، عَلَيْكِ بِالرِّفْقِ }، أَيْ: تَمَهَّلِي وَاصْبِرِي وَتَرَفَّقِي فِي الْأَمْرِ، { وَإِيَّاكِ وَالْعُنْفِ أَوِ الْفُحْشِ } أَيْ: يُحَذِّرُهَا النَّبِيُّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مِنَ التَّعَدِّي عَلَيْهِمْ بِمِثْلِ قَوْلِهِمْ، وَالْعُنْفُ: الشِّدَّةُ عِنْدَ الْأَخْذِ وَالرَّدِّ، وَيُقْصَدُ بِالْفُحْشِ: التَّعَدِّي فِي الْقَوْلِ وَالْجَوَابِ، لَا الْفُحْشُ الَّذِي هُوَ مِنْ رَدِيءِ الْكَلَامِ، وَفِي رِوَايَةٍ فِي الصَّحِيحَيْنِ:

{ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ }، أَيْ: يُحِبُّ أَنْ يَتَّصِفَ عَبْدُهُ بِلِينِ الْجَانِبِ وَالْأَخْذِ بِالسَّهْلِ، فَلَا يَكُونُ فَظًّا وَلَا غَلِيظًا، فَالرِّفْقُ تَتَأَتَّى بِهِ الْأَغْرَاضُ وَتَسْهُلُ بِهِ الْمَقَاصِدُ مَا لَا تَتَأَتَّى وَتَسْهُلُ بِغَيْرِهِ.

-قَالَتْ عَائِشَةُ لِلنَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : { أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟! } تُنَبِّهُ النَّبِيَّ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لِقَوْلِهِمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : { أَوَلَمْ تَسْمَعِي مَا قُلْتُ؟ }، إِشَارَةٌ إِلَى قَوْلِهِ الْمُتَقَدِّمِ: { وَعَلَيْكُمْ }، { رَدَدْتُ عَلَيْهِمْ } أَيْ: هَذَا كَانَ رَدِّي عَلَيْهِمْ، وَالْفَرْقُ بَيْنَ رَدِّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَرَدِّ عَائِشَةَ:

أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -جَزَاهُمْ عَلَى قَدْرِ فِعْلِهِمْ دُونَ أَنْ يُغْلِظَ عَلَيْهِمْ فِي الْقَوْلِ، وَأَمَّا عَائِشَةُ رضي الله عنها فَقَدْ زَادَتْ فِي الدُّعَاءِ عَلَيْهِمْ، وَجَعَلَتِ الْغِلْظَةَ هِيَ السَّبِيلَ فِي الرَّدِّ، { فَيُسْتَجَابُ لِي فِيهِمْ، وَلَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ فِيَّ }؛ فَأَوْضَحَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ -أَنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ فِي الْمُسْلِمِينَ إِذَا دَعَا الْيَهُودُ عَلَيْهِمْ، وَأَنَّهُ يَسْتَجِيبُ لِلْمُسْلِمِينَ فِيهِمْ إِذَا دَعَوْا عَلَى الْيَهُودِ.

-وَفِي الْحَدِيثِ: بَيَانُ تَحَايُلِ الْيَهُودِ وَتَغْيِيرِهِمْ فِي الْكَلَامِ بِمَا يُوهِمُ الْمَعْنَى الْمَقْصُودَ وَعَكْسَهُ.

-وَفِيهِ: مُجَازَاةُ الْمُعْتَدِي بِمِثْلِ اعْتِدَائِهِ فِي الْقَوْلِ أَوِ الْفِعْلِ، وَمُعَامَلَتُهُ بِمِثْلِ حِيلَتِهِ.



(2)وَأَخْرَجَ الشَّيْخَانِ الْبُخَارِيُّ – رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى – فِي صَحِيحِهِ بِرَقْمِ (٥٨٠٩) وَمُسْلِمٌ – رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى – فِي صَحِيحِهِ بِرَقْمِ (١٠٥٧) مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه: قَالَ: { كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ، فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَبَذَهُ بُرْدَائِهِ جَبْذَةً شَدِيدَةً، حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَدْ أَثَّرَتْ بِهَا حَاشِيَةُ الْبُرْدِ مِنْ شِدَّةِ جَبْذَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -ثُمَّ ضَحِكَ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ }.

-كَانَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- رَؤُوفًا رَحِيمًا رَفِيقًا بِالْمُؤْمِنِينَ، فَلَمْ يَكُنْ يُعَنِّفُ أَحَدًا أَوْ يُغْلِظُ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرُمَاتُ اللَّهِ تَعَالَى، فَيَغْضَبُ لِذَلِكَ.

-وَفِي هٰذَا الْحَدِيثِ بَيَانُ جَانِبٍ مِنْ حِلْمِهِ وَرِفْقِهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؛ فَيَحْكِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ-رضي الله عنه- أَنَّ النَّبِيَّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -كَانَ يَمْشِي وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ، وَالْبُرْدُ: نَوْعٌ مِنَ الثِّيَابِ، وَالنَّجْرَانِيُّ: نِسْبَةٌ إِلَى نَجْرَانَ مُدِينَةٍ بِالْيَمَنِ، وَ{ غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ } أَيْ: غَلِيظُ الْجَانِبِ، فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ – وَهُوَ الْعَرَبِيُّ الَّذِي يَسْكُنُ الصَّحْرَاءَ – فَأَمْسَكَهُ مِنْ ثَوْبِهِ بِشِدَّةٍ، حَتَّى إِنَّ الثَّوْبَ أَثَّرَ فِي جَانِبِ رَقَبَتِهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مِنْ شِدَّةِ الْجَذْبَةِ، ثُمَّ قَالَ الرَّجُلُ الْأَعْرَابِيُّ: يَا مُحَمَّدُ، مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -ثُمَّ ضَحِكَ، تَرَفُّقًا بِهِ وَتَرَحُّمًا، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ مِنَ الْمَالِ. وَمَا فَعَلَهُ الْأَعْرَابِيُّ بِالنَّبِيِّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مُفَسَّرٌ عَلَى مَا كَانَ فِي الْأَعْرَابِ مِنْ سُوءِ الطَّبْعِ وَالْخُلُقِ؛ وَلِذَلِكَ جَاءَ رَدُّ فِعْلِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -بِاللِّينِ وَالصَّفْحِ.

-وَفِي الْحَدِيثِ: كَمَالُ خُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَحِلْمِهِ وَصَفْحِهِ الْجَمِيلِ.

-وَفِيهِ: الْحَثُّ عَلَى احْتِمَالِ الْجَاهِلِينَ، وَالإِعْرَاضُ عَنْ مُقَابَلَتِهِمْ، وَدَفْعُ السَّيِّئَةِ بِالْحَسَنَةِ.
-وَفِيهِ: إِعْطَاءُ مَنْ يَتَأَلَّفُ قَلْبُهُ.
-وَفِيهِ: إِبَاحَةُ الضَّحِكِ عِنْدَ الْأُمُورِ الَّتِي يُتَعَجَّبُ مِنْهَا فِي الْعَادَةِ.

•وَقَدْ تَأَسَّى الصَّحَابَةُ-رضي الله عنهم- بِرَسُولِ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-فِي الإِحْسَانِ لِمَنْ أَسَاءَ إِلَيْهِمْ كَمَا حَدَثَ مَعَ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله تعالى عنه وَمِسْطَحِ بْنِ أَثَاثَةَ- رضي الله عنه- فِي قِصَّةِ الإِفْكِ.

-فَقَدْ أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ الْبُخَارِيُّ-رحمه الله تعالى- فِي صَحِيحِهِ بِرَقْمِ (٢٦٦١) وَمُسْلِمٌ رحمه الله تعالى فِي صَحِيحِهِ بِرَقْمِ (٢٧٧٠) مِنْ حَدِيثِ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ- رضي الله تعالى عنها- قَالَتْ:

{كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ سَفَرًا أَقْرَعَ بَيْنَ أَزْوَاجِهِ، فَأَيَّتُهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا، خَرَجَ بِهَا مَعَهُ، فَأَقْرَعَ بَيْنَنَا فِي غَزَاةٍ غَزَاهَا، فَخَرَجَ سَهْمِي، فَخَرَجْتُ مَعَهُ بَعْدَ مَا أُنْزِلَ الْحِجَابُ، فَأَنَا أُحْمَلُ فِي هَوْدَجٍ، وَأُنْزَلُ فِيهِ، فَسِرْنَا حَتَّى إِذَا فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مِنْ غَزْوَتِهِ تِلْكَ، وَقَفَلَ وَدَنَوْنَا مِنَ الْمَدِينَةِ؛ آذَنَ لَيْلَةً بِالرَّحِيلِ، فَقُمْتُ حِينَ آذَنُوا بِالرَّحِيلِ، فَمَشَيْتُ حَتَّى جَاوَزْتُ الْجَيْشَ، فَلَمَّا قَضَيْتُ شَأْنِي أَقْبَلْتُ إِلَى الرَّحْلِ، فَلَمَسْتُ صَدْرِي، فَإِذَا عِقْدٌ لِي مِنْ جَزْعِ أَظْفَارٍ قَدِ انْقَطَعَ، فَرَجَعْتُ، فَالْتَمَسْتُ عِقْدِي، فَحَبَسَنِي ابْتِغَاؤُهُ، فَأَقْبَلَ الَّذِينَ يَرْحَلُونَ لِي، فَاحْتَمَلُوا هَوْدَجِي، فَرَحَلُوهُ عَلَى بَعِيرِي الَّذِي كُنْتُ أَرْكَبُ وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنِّي فِيهِ، وَكَانَ النِّسَاءُ إِذْ ذَاكَ خِفَافًا لَمْ يَثْقُلْنَ وَلَمْ يَغْشَهُنَّ اللَّحْمُ، وَإِنَّمَا يَأْكُلْنَ الْعُلْقَةَ مِنَ الطَّعَامِ، فَلَمْ يَسْتَنْكِرِ الْقَوْمُ حِينَ رَفَعُوهُ ثِقْلَ الْهَوْدَجِ، فَاحْتَمَلُوهُ وَكُنْتُ جَارِيَةً حَدِيثَةَ السِّنِّ، فَبَعَثُوا الْجَمَلَ وَسَارُوا، فَوَجَدْتُ عِقْدِي بَعْدَ مَا اسْتَمَرَّ الْجَيْشُ، فَجِئْتُ مَنْزِلَهُمْ وَلَيْسَ فِيهِ أَحَدٌ، فَأَمَمْتُ مَنْزِلِي الَّذِي كُنْتُ بِهِ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ سَيَفْقِدُونَنِي، فَيَرْجِعُونَ إِلَيَّ، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسَةٌ غَلَبَتْنِي عَيْنَايَ، فَنِمْتُ، وَكَانَ صَفْوَانُ بْنُ الْمُعَطَّلِ السُّلَمِيُّ ثُمَّ الذَّكْوَانِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْجَيْشِ، فَأَصْبَحَ عِنْدَ مَنْزِلِي، فَرَأَى سَوَادَ إِنْسَانٍ نَائِمٍ، فَأَتَانِي، وَكَانَ يَرَانِي قَبْلَ الْحِجَابِ، فَاسْتَيْقَظْتُ بِاسْتِرْجَاعِهِ حِينَ أَنَاخَ رَاحِلَتَهُ فَوَطِئَ يَدَهَا، فَرَكِبْتُهَا، فَانْطَلَقَ يَقُودُ بِي الرَّاحِلَةَ حَتَّى أَتَيْنَا الْجَيْشَ بَعْدَ مَا نَزَلُوا مُعَرِّسِينَ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ، فَهَلَكَ مَنْ هَلَكَ، وَكَانَ الَّذِي تَوَلَّى الإِفْكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ، فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ، فَاشْتَكَيْتُ بِهَا شَهْرًا، وَالنَّاسُ

يُفِيضُونَ مِنْ قَوْلِ أَصْحَابِ الإِفْكِ، وَيَرِيبُنِي فِي وَجَعِي أَنِّي لَا أَرَى مِنَ النَّبِيِّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– اللُّطْفَ الَّذِي كُنْتُ أَرَى مِنْهُ حِينَ أَمْرَضُ، إِنَّمَا يَدْخُلُ فَيُسَلِّمُ، ثُمَّ يَقُولُ: كَيْفَ تِيكُمْ؟ لَا أَشْعُرُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ حَتَّى نَقَهْتُ، فَخَرَجْتُ أَنَا وَأُمُّ مِسْطَحٍ قِبَلَ الْمَنَاصِعِ؛ مُتَبَرَّزُنَا، لَا نَخْرُجُ إِلَّا لَيْلًا إِلَى لَيْلٍ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ نَتَّخِذَ الْكُنُفَ قَرِيبًا مِنْ بُيُوتِنَا، وَأَمْرُنَا أَمْرُ الْعَرَبِ الأُوَلِ فِي الْبَرِّيَّةِ أَوْ فِي التَّنَزُّهِ، فَأَقْبَلْتُ أَنَا وَأُمُّ مِسْطَحٍ بِنْتُ أَبِي رُهْمٍ نَمْشِي، فَعَثَرَتْ فِي مِرْطِهَا، فَقَالَتْ:

تَعِسَ مِسْطَحٌ، فَقُلْتُ لَهَا: بِئْسَ ما قُلْتِ! أَتَسُبِّينَ رَجُلًا شَهِدَ بَدْرًا؟! فَقَالَتْ: يَا هَنْتَاهْ، أَلَمْ تَسْمَعِي ما قَالُوا؟ فَأَخْبَرَتْنِي بِقَوْلِ أَهْلِ الإِفْكِ، فَازْدَدْتُ مَرَضًا عَلَى مَرَضِي، فَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَى بَيْتِي دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، فَسَلَّمَ فَقَالَ: كَيْفَ تِيكُمْ؟ فَقُلْتُ: ائْذَنْ لِي إِلَى أَبَوَيَّ، قَالَتْ: وَأَنَا حِينَئِذٍ أُرِيدُ أَنْ أَسْتَيْقِنَ الْخَبَرَ مِنْ قِبَلِهِمَا، فَأَذِنَ لِي رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، فَأَتَيْتُ أَبَوَيَّ فَقُلْتُ لِأُمِّي: ما يَتَحَدَّثُ بِهِ النَّاسُ؟ فَقَالَتْ: يَا بُنَيَّةُ، هَوِّنِي عَلَى نَفْسِكِ الشَّأْنَ؛ فَوَاللَّهِ لَقَلَّمَا كَانَتِ امْرَأَةٌ قَطُّ وَضِيئَةٌ عِنْدَ رَجُلٍ يُحِبُّهَا وَلَهَا ضَرَائِرُ، إِلَّا أَكْثَرْنَ عَلَيْهَا، فَقُلْتُ: سُبْحَانَ اللَّهِ! وَلَقَدْ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ بِهَذَا؟! قَالَتْ: فَبِتُّ تِلْكَ اللَّيْلَةَ حَتَّى أَصْبَحْتُ لَا يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ، وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ، ثُمَّ أَصْبَحْتُ، فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَأُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ حِينَ اسْتَلْبَثَ الْوَحْيُ، يَسْتَشِيرُهُمَا فِي فِرَاقِ أَهْلِهِ، فَأَمَّا أُسَامَةُ فَأَشَارَ عَلَيْهِ بِالَّذِي يَعْلَمُ فِي نَفْسِهِ مِنَ الْوُدِّ لَهُمْ، فَقَالَ أُسَامَةُ: أَهْلُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلَا نَعْلَمُ –وَاللَّهِ– إِلَّا خَيْرًا، وَأَمَّا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَمْ يُضَيِّقِ اللَّهُ عَلَيْكَ، وَالنِّسَاءُ سِوَاهَا كَثِيرٌ، وَسَلِ الْجَارِيَةَ تَصْدُقْكَ، فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– بَرِيرَةَ، فَقَالَ: يَا بَرِيرَةُ، هَلْ رَأَيْتِ فِيهَا شَيْئًا يَرِيبُكِ؟ فَقَالَتْ بَرِيرَةُ: لَا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، إِنْ رَأَيْتُ مِنْهَا أَمْرًا أَغْمِصُهُ عَلَيْهَا قَطُّ أَكْثَرَ مِنْ أَنَّهَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ، تَنَامُ عَنِ الْعَجِينِ، فَتَأْتِي الدَّاجِنُ فَتَأْكُلُهُ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– مِنْ يَوْمِهِ، فَاسْتَعْذَرَ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُبَيٍّ ابْنِ سَلُولَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: مَنْ يَعْذِرُنِي مِنْ رَجُلٍ بَلَغَنِي أَذَاهُ فِي أَهْلِي؟! فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا، وَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلًا مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، وَمَا كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا مَعِي، فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَا وَاللَّهِ أَعْذِرُكَ مِنْهُ؛ إِنْ كَانَ مِنَ الأَوْسِ

ضَرَبْنَا عُنُقَهُ، وَإِنْ كَانَ مِنْ إِخْوَانِنَا مِنَ الْخَزْرَجِ أَمَرْتَنَا، فَفَعَلْنَا فِيهِ أَمْرَكَ، فَقَامَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ –وَهُوَ سَيِّدُ الْخَزْرَجِ، وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ رَجُلًا صَالِحًا وَلَكِنِ احْتَمَلَتْهُ الْحَمِيَّةُ– فَقَالَ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللَّهِ، لَا تَقْتُلُهُ، وَلَا تَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ، فَقَامَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ فَقَالَ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللَّهِ، وَاللَّهِ لَنَقْتُلَنَّهُ؛ فَإِنَّكَ مُنَافِقٌ تُجَادِلُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ، فَثَارَ الْحَيَّانُ –الأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ– حَتَّى هَمُّوا، وَرَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– عَلَى الْمِنْبَرِ، فَنَزَلَ، فَخَفَّضَهُمْ حَتَّى سَكَتُوا، وَسَكَتَ، وَبَكَيْتُ يَوْمِي لَا يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ، وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ، فَأَصْبَحَ عِنْدِي أَبَوَايَ، وَقَدْ بَكَيْتُ لَيْلَتَيْنِ وَيَوْمًا حَتَّى أَظُنُّ أَنَّ الْبُكَاءَ فَالِقٌ كَبِدِي، قَالَتْ: فَبَيْنَا هُمَا جَالِسَانِ عِنْدِي وَأَنَا أَبْكِي، إِذِ اسْتَأْذَنَتِ امْرَأَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ، فَأَذِنْتُ لَهَا، فَجَلَسَتْ تَبْكِي مَعِي، فَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فَجَلَسَ، وَلَمْ يَجْلِسْ عِنْدِي مِنْ يَوْمِ قِيلَ فِيَّ مَا قِيلَ قَبْلَهَا، وَقَدْ مَكَثَ شَهْرًا لَا يُوحَى إِلَيْهِ فِي شَأْنِي شَيْءٌ، قَالَتْ: فَتَشَهَّدَ، ثُمَّ قَالَ: يَا عَائِشَةُ، فَإِنَّهُ بَلَغَنِي عَنْكِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنْ كُنْتِ بَرِيئَةً فَسَيُبَرِّئُكِ اللَّهُ، وَإِنْ كُنْتِ أَلْمَمْتِ بِذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ؛ فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبِهِ ثُمَّ تَابَ، تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– مَقَالَتَهُ، قَلَصَ دَمْعِي حَتَّى مَا أُحِسُّ مِنْهُ قَطْرَةً، وَقُلْتُ لِأَبِي: أَجِبْ عَنِّي رَسُولَ اللَّهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، قَالَ: وَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، فَقُلْتُ لِأُمِّي: أَجِيبِي عَنِّي رَسُولَ اللَّهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فِيما قَالَ، قَالَتْ: وَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، قَالَتْ: وَأَنَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ، لَا أَقْرَأُ كَثِيرًا مِنَ الْقُرْآنِ، فَقُلْتُ: إِنِّي وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّكُمْ سَمِعْتُمْ ما يَتَحَدَّثُ بِهِ النَّاسُ، وَوَقَرَ فِي أَنْفُسِكُمْ وَصَدَّقْتُمْ بِهِ، وَلَئِنْ قُلْتُ لَكُمْ: إِنِّي بَرِيئَةٌ –وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنِّي لَبَرِيئَةٌ– لَا تُصَدِّقُونِي بِذَلِكَ، وَلَئِنِ اعْتَرَفْتُ لَكُمْ بِأَمْرٍ –وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ– لَتُصَدِّقُنِّي، وَاللَّهِ مَا أَجِدُ لِي وَلَكُمْ مَثَلًا إِلَّا أَبَا يُوسُفَ إِذْ قَالَ: { فَصَبْرٌ جَمِيلٌ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ }.(يُوسُف:١٨)، ثُمَّ تَحَوَّلْتُ عَلَى فِرَاشِي وَأَنَا أَرْجُو أَنْ يُبَرِّئَنِي اللَّهُ، وَلَكِنْ وَاللَّهِ مَا ظَنَنْتُ أَنْ يُنْزِلَ فِي شَأْنِي وَحْيًا، وَلَأَنَا أَحْقَرُ فِي نَفْسِي مِنْ أَنْ يُتَكَلَّمَ بِالْقُرْآنِ فِي أَمْرِي، وَلَكِنِّي كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَى رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فِي النَّوْمِ رُؤْيَا يُبَرِّئُنِي اللَّهُ، فَوَاللَّهِ مَا رَامَ مَجْلِسَهُ وَلَا خَرَجَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ، حَتَّى أُنْزِلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ، فَأَخَذَهُ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ مِنَ الْبُرَحَاءِ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ مِنْهُ مِثْلُ الْجُمَانِ مِنَ الْعَرَقِ فِي يَوْمٍ شَاتٍ، فَلَمَّا

سُرِّيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَهُوَ يَضْحَكُ، فَكَانَ أَوَّلَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا أَنْ قَالَ لِي: يَا عَائِشَةُ، احْمَدِي اللَّهَ؛ فَقَدْ بَرَّأَكِ اللَّهُ، فَقَالَتْ لِي أُمِّي: قُومِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، فَقُلْتُ: لَا وَاللَّهِ، لَا أَقُومُ إِلَيْهِ، وَلَا أَحْمَدُ إِلَّا اللَّهَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: { إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ }. (النُّور:١١). الآيَاتِ، فَلَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ هَذَا فِي بَرَاءَتِي، قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ–رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– وَكَانَ يُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحِ بْنِ أُثَاثَةَ لِقَرَابَتِهِ مِنْهُ–:

وَاللَّهِ لَا أُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحٍ شَيْئًا أَبَدًا بَعْدَ مَا قَالَ لِعَائِشَةَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: { وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا } إِلَى قَوْلِهِ: { غَفُورٌ رَحِيمٌ }.(النُّور:٢٢)، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: بَلَى وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِي، فَرَجَعَ إِلَى مِسْطَحٍ الَّذِي كَانَ يُجْرِي عَلَيْهِ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يَسْأَلُ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ عَنْ أَمْرِي، فَقَالَ: يَا زَيْنَبُ، مَا عَلِمْتِ؟ مَا رَأَيْتِ؟ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَحْمِي سَمْعِي وَبَصَرِي، وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَيْهَا إِلَّا خَيْرًا، قَالَتْ: وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِينِي، فَعَصَمَهَا اللَّهُ بِالْوَرَعِ }.

–فَقَدْ كَانَ أَبُو بَكْرٍ–رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– يُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحِ بْنِ أُثَاثَةَ–رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– لِقَرَابَتِهِ مِنْهُ، فَأُمُّ مِسْطَحٍ سَلْمَى كَانَتْ بِنْتَ خَالَةِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، وَكَانَ مِسْطَحٌ مِنَ الَّذِينَ خَاضُوا فِي الْقَوْلِ بِالإِفْكِ، فَغَضِبَ وَقَالَ: وَاللَّهِ لَا أُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحٍ شَيْئًا أَبَدًا بَعْدَمَا قَالَ لِعَائِشَةَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: { وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ }، أَيْ: لَا يَحْلِفُوا عَلَى أَلَّا يُعْطُوا أَقَارِبَهُمْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ أَسَاؤُوا إِلَيْهِمْ، { وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ }.(النُّور:٢٢)، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: بَلَى وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِي، فَأَعَادَ إِلَى مِسْطَحٍ مَا كَانَ يُعْطِيهِ، وَكَفَّرَ عَنْ يَمِينِهِ.



•وَكَذَلِكَ كَانَ حَالُ مَنْ جَاءَ بَعْدَ الصَّحَابَةِ مِنَ التَّابِعِينَ وَتَابِعِيهِمْ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ –:

(1)قَالَ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الأَعْلَى الشَّيْبَانِيُّ: حَدَّثَنِي أَبُو يَعْقُوبَ الْمَدَنِيُّ قَالَ: {كَانَ بَيْنَ حَسَنِ بْنِ حَسَنٍ، وَبَيْنَ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ شَيْءٌ، فَجَاءَ حَسَنٌ، فَمَا تَرَكَ شَيْئًا إِلَّا قَالَهُ، وَعَلِيٌّ سَاكِتٌ، فَذَهَبَ حَسَنٌ، فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ أَتَاهُ عَلِيٌّ، فَقَرَعَ بَابَهُ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ: يَا بْنَ عَمِّي، إِنْ كُنْتَ صَادِقًا فَغَفَرَ اللَّهُ لِي، وَإِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَغَفَرَ اللَّهُ لَكَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ، فَالْتَزَمَهُ حَسَنٌ، وَبَكَى حَتَّى رُثِيَ لَهُ، ثُمَّ قَالَ: لَا جَرَمَ لَا عُدْتُ فِي أَمْرٍ تَكْرَهُهُ، فَقَالَ عَلِيٌّ: وَأَنْتَ فِي حِلٍّ مِمَّا قُلْتَ لِي}.(يَنْظُر: تَارِيخُ دِمَشْقَ لِابْنِ عَسَاكِر:٤١/ ٣٩٥).

(2)وَعَنْ مُوسَى بْنِ طَرِيفٍ قَالَ: { اسْتَطَالَ رَجُلٌ عَلَى عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ زَيْنِ الْعَابِدِينَ، فَتَغَافَلَ عَنْهُ، فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: إِيَّاكَ أَعْنِي، فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ: وَعَنْكَ أُغْضِي }.(يَنْظُر: تَهْذِيبُ الْكَمَالِ فِي أَسْمَاءِ الرِّجَالِ لِلْمِيزِيِّ:٢٠/ ٣٩٨).

(3)وَعَنْ عَبْدِ الْغَفَّارِ بْنِ الْقَاسِمِ: {كَانَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ خَارِجًا مِنَ الْمَسْجِدِ فَلَقِيَهُ رَجُلٌ فَسَبَّهُ، فَثَارَتْ إِلَيْهِ الْعَبِيدُ وَالْمَوَالِي، فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ: مَهْلًا عَنِ الرَّجُلِ. ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى الرَّجُلِ، فَقَالَ: مَا سُتِرَ عَنْكَ مِنْ أَمْرِنَا أَكْثَرُ! أَلَكَ حَاجَةٌ نُعِينُكَ عَلَيْهَا؟ فَاسْتَحْيَا الرَّجُلُ، فَأَلْقَى عَلَيْهِ خَمِيصَةً كَانَتْ عَلَيْهِ، وَأَمَرَ لَهُ بِأَلْفِ دِرْهَمٍ. فَكَانَ الرَّجُلُ بَعْدَ ذَلِكَ يَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّكَ مِنْ أَوْلَادِ الْمُرْسَلِينَ }.(يَنْظُر: صِفَةُ الصَّفْوَةِ لِابْنِ الْجَوْزِيِّ:١/ ٣٥٧).

(4)وَقَالَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ: { جَعَلَتْ جَارِيَةٌ لِعَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ تَسْكُبُ عَلَيْهِ الْمَاءَ يَتَهَيَّأُ لِلصَّلَاةِ، فَسَقَطَ الْإِبْرِيقُ مِنْ يَدِ الْجَارِيَةِ عَلَى وَجْهِهِ فَشَجَّهُ، فَرَفَعَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ رَأْسَهُ إِلَيْهَا، فَقَالَتِ الْجَارِيَةُ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: { وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ }، فَقَالَ لَهَا: قَدْ كَظَمْتُ غَيْظِي. قَالَتْ: { وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ }، قَالَ قَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْكِ.
قَالَتْ: { وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ }.(آلِ عِمْرَان:١٣٤)، قَالَ: فَاذْهَبِي فَأَنْتِ حُرَّةٌ }.(يَنْظُر: الْعَقْدُ الْفَرِيدُ لِابْنِ عَبْدِ رَبِّهْ:٢/ ٦٠.)

(5)وَجاءَ فِي كِتَابِ الْمُنْتظم فِي التَّارِيخ:١٥/٧ :{ كَانَ إبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى– أعْوَرَ الْعَيْنِ،وَكَانَ تِلْمِيذُهُ سُلَيْمَان بْن مَهْرَان–رَحِمَهُ اللَّهُ–أعْمَشَ الْعَيْنِ(ضَعِيفُ الْبَصَر)،وَقَدْ رَوَى عَنْهُمَا ابْنُ الْجَوْزِيُّ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–فِي كِتَابِهِ الْمُنْتَظم فِي التَّارِيخ أَنَّهُمَا سَارَا فِي أحَدِ طُرُقَاتِ الْكُوفَة يُرِيدَان الْجَامِعَ وَبَيْنَمَا هُمَا يَسِيرَانِ فِي الطَّرِيقِ قَالَ الْإمَامُ النَّخَعِيُّ : يَا سُلَيْمَانُ هَلْ لَكَ أنْ تَأخُذَ طَرِيقًا وَآخُذَ آخر؟ فَإنِّي أخْشَى إنْ مَرَرْنَا سَوِيًّا بِسُفَهَائهَا لَيَقُولُونَ : أعْوَرٌ يَقُودُ أعْمَشَ فَيَغْتَابُونَنَا فَيَأثَمُونَ،فَقَالَ الْأعْمَشُ:يَا أبَا عِمْرَان وَمَا عَلَيْكَ فِي أنْ نُؤجَرَ وَيَأثَمُونَ ؟! فَقَالَ إبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ–رَحِمَهُ اللَّهُ–: يَا سُبْحَانَ اللَّهِ ! بَلْ نَسْلَمُ وَيَسْلَمُونَ خَيْرٌ مِنْ أنْ نُؤجَرَ وَيَأثَمُون }

.

•يَا لَهَا مِنْ أخْلَاق نَحْنُ فِي أمَسّ الْحَاجَةِ إلَيْهَا.

•فَهَذِهِ نَصِيحَتِي لِنَفْسِي وَإخْوَانِي مِنْ طُلَّابِ الْعِلْمِ وَالدُّعَاةِ أحْسَنُوا الظَّنَّ بِأخْوَانِكُمْ وَعِنْدَ الْخِلَافِ ابْحَثُوا عَنْ أجْمَلِ رَدٍّ لَا عَنْ أقْوَى رَدٍّ وَلَا تُغْلِقُوا أبْوَابَكُمْ فَلَعَلَّ الْمُخْطِئ يَنْدَم وَيَعُود وَالْمُخَالِف يُبَصِّرُهُ اللَّهُ بِالْحَقّ فَيَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا وَبَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا مَعَ مُرَاعَاةِ آدَابِ الْخِلَافِ وَكُونُوا مَفَاتِيحَ خَيْرٍ مَغَالِيقَ شَرٍّ وَأرَدِّدُ مَا قَالَهُ نَبِيُّ اللَّهِ شُعَيْب عَلَيْهِ السَّلَامُ:{ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ }.(هود:٨٨).

،وَالْحَذَرَ الْحَذَرَ مِنْ عَدَمِ قَبُولِ النُّصْحِ فَهَذِهِ عَلَامَةُ كِبْرِ النَّفْسِ وَأعِيذُ نَفْسَي وَأحْبَابِي مِنَ الْكِبْرِ.



•ثَانِيًا: ضَوَابِطُ العَفْوِ عَمَّنْ أَسَاءَ:

-الإِحْسَانُ لِمَنْ أَسَاءَ إِلَيْكَ مَكْرَمَةٌ وَفَضِيلَةٌ بِشَرْطِ أَنْ لَا يُؤَدِّيَ الإِحْسَانُ إِلَى ضِيَاعِ الْحُقُوقِ أَوْ إِلَى تَمَادِي الْمُسْئِ فِي الإِسَاءَةِ وَتَجَاوُزِ حَدِّ الاِعْتِدَالِ لِذَلِكَ ضَبَطَ أَهْلُ الْعِلْمِ التَّعَامُلَ مَعَ الْمُسْئِ بِضَوَابِطِ فَالْإِنْسَانُ عِنْدَ الإِسَاءَةِ إِلَيْهِ بَيْنَ خِيَارَاتٍ ثَلَاثَةٍ:

(أ) أَنْ يَعْفُو عَنِ الظَّالِمِ وَيُسَامِحَهُ، وَهَذَا أَفْضَلُ الْخِيَارَاتِ وَأَكْرَمُهَا، فَقَدْ نَدَبَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ عِبَادَهُ إِلَى الصَّبْرِ بِقَوْلِهِ: { وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ }.(آلِ عِمْرَان:١٨٦).

-وَنَدَبَهُمْ إِلَى الْعَفْوِ، بِقَوْلِهِ تَعَالَى: { فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ }.(الشُّورى:٤٠).

-وَقَالَ: { وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ }.(النُّور:٢٢)

-وَفِي صَحِيحِ مُسْلِم . مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ . رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ . أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: { مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا يَعْفُو إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ }.

(ب) أَنْ يَسْكُتَ عَنْهُ، وَلَكِنْ لَا يُسَامِحُهُ، بَلْ يُفَوِّضُ أَمْرَهُ فِيهِ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ، لِيَنْتَقِمَ لَهُ مِنْهُ، وَهَذَا مَشْرُوعٌ، لَكِنْهُ دُونَ الأَوَّلِ فِي الْفَضْلِ.

(ج) أَنْ يَرُدَّ عَلَى الْمُسْئِ بِمِثْلِ إِسَاءَتِهِ، وَهَذَا جَائِزٌ بِشُرُوطٍ وَضَوَابِطَ مِنْهَا: أَنْ يَرُدَّ بِالْمِثْلِ وَلَا يَعْتَدِي فِي رَدِّهِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: { مَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ }.(البَقَرَة:١٩٤)، وَلِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:

{ الْمُسْتَبَانُ مَا قَالَا فَعَلَى الْبَادِئِ مِنْهُمَا حَتَّى يَعْتَدِي الْمَظْلُوم }. رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَغَيْرُهُ.

-جَاءَ فِي فَيْضِ الْقَدِيرِ: { وَقِيلَ: الْمَعْنَى أَنَّهُ إِذَا سَبَّهُ فَرَدَّ عَلَيْهِ كَانَ كِفَافًا، فَإِنْ زَادَ بِالْغَضَبِ وَالتَّعَصُّبِ لِنَفْسِهِ كَانَ ظَالِمًا وَكَانَ كُلُّ مِنْهُمَا فَاسِقًا }. اِنْتَهَى.

-وَمِنْهَا: أَلَا يَرُدَّ بِمَا هُوَ مُحَرَّمُ الْجِنْسِ كَالْقَذْفِ وَالتَّكْفِيرِ وَنَحْوِ ذَلِكَ.

-قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَةَ . رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى . فِي الْفَتَاوَى الْكُبْرَى: { وَكَذَلِكَ لَهُ أَنْ يَسُبَّهُ كَمَا يَسُبُّهُ، مِثْلَ أَنْ يَلْعَنَهُ كَمَا يَلْعَنُهُ، أَوْ يَقُولُ: قَبَحَكَ اللَّهُ، فَيَقُولُ: قَبَحَكَ اللَّهُ، أَوْ أَخْزَاكَ اللَّهُ، فَيَقُولُ لَهُ: أَخْزَاكَ اللَّهُ، أَوْ يَقُولُ: يَا كَلْبُ يَا خِنْزِيرُ، فَيَقُولُ: يَا كَلْبُ يَا خِنْزِيرُ. فَأَمَّا إِذَا كَانَ مُحَرَّمُ الْجِنْسِ مِثْلَ تَكْفِيرِهِ أَوِ الْكَذِبِ عَلَيْهِ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَنْ يُكَفِّرَهُ وَلَا يَكْذِبَ عَلَيْهِ }. اِنْتَهَى.

-وَمِنْهَا: أَلَا يَسُبَّ بَرِيئًا مِنْ أَرْحَامِ الظَّالِمِ أَوْ أَقَارِبِهِ.

-قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ ـ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ـ: { وَإِذَا لَعَنَ أَبَاهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَنْ يَلْعَنَ أَبَاهُ، لأَنَّ أَبَاهُ لَمْ يَظْلِمْهُ }. اِنْتَهَى.

•فَاللَّهُمَّ ارْزُقْنَا الْإِخْلَاصَ وَالْمُتَابَعَةَ فِي الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ وَسَائِرِ الْأَحْوَالِ،وَصَلِّ وَسَلِّم وَبَارِك عَلَى النَّبِيِّ الْقُدْوَةِ وَالرَّسُولِ الْأَسْوَةِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَتْبَاعِهِ كُلَّمَا ذَكَرَكَ الذَّاكِرُونَ وَغَفَلَ عَنْ ذِكْرِكَ الْغَافِلُونَ،وَآخِرُ دَعْوَانَا أنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

•كَتَبَهُ:

خَادِمُكُمْ وَمُحِبُّكُمْ فِي اللهِ أبُو أحْمَد سَيِّد عَبْد الْعَاطِي بْن مُحَمَّد الذَّهَبِيُّ غَفَرَ اللهُ لَهُ وَعَفَا عَنْهُ.

تمت بحمد الله

مع تحيات

موسوعة اعرف دينك للعلوم الشرعية

والنشر الإلكتروني

